

أمراضُ القلوب

إخوة الإيمان:

نتعرف في خطبة اليوم على أمراض القلوب الخطيرة مرض القلوب من أخطر الأمراض وأقبحها، الأمراض التي تُصيب الإنسان نوعان، أمراض تُصيب الأبدان، وأمراض تُصيب القلوب، وإن أمراض القلوب أشد فتكًا، وأشدَّ خطرًا من أمراض الأبدان، لأنَّ أمراض القلب لا يَنكشِفُ خطرُها للإنسان إلا عند الموت، ولأنها تُؤدِّي إلى خسارة الدنيا وخسارة الآخرة، وتُؤدِّي إلى فساد الدين، علينا أن نتعرف على علامتها لنعالجها،

لقد وصف الله عزَّ وجلَّ الإنسان بأنه ظلومٌ، جهولٌ، هُلوعٌ، خاسِرٌ، كئودٌ، كفارٌ؛ فهذه أمراض تُهلك الإنسان، ولا يُمكن أن يظهر القلب منها ما لم تُخرِج هذه الصفات الحبيثة منه، فمن أراد أن يكون قلبه سليمًا؛ فليُخدر من هذه الأمراض، ومن أراد أن يملأ الله قلبه إيمانًا وأنشراحًا وأنسا به؛ فليُخرِج منه هذه الأمراض التي تحول بينه وبين ذلك، قال ابن القيم رحمه الله: في النفس: كبرٌ إبليس، وحسدٌ قاييل، وعثوٌ عادٍ، وطغيانٌ ثمود، وجُرأةٌ نمرود، واستيْطالةٌ فرعون، وبغيٌ قارون، وجملٌ أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم، اللهم طهر قلوبنا من هذه الأمراض كلها،

وقد أنثى الله على خليله عليه السلام بسلامته قلبه، فقال سبحانه: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الصافات] وقال ربنا حاكيا عن إبراهيم أنه قال: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء]

عباد الله: هذه الأمراض الخطيرة التي سبق ذكرها تمنع القلب من أن يكون سليمًا؛ ومن أهمها:

المرض الأول: الشرك: وهو أن يتعلَّق القلب بغير الله تعالى؛ حبًا أو رجا، أو خوفًا، أو توقُّلاً، أو خشيةً، أو رهبةً، أو رغبةً؛ وقد طهرم الله منه بمنه وفضله وكرمه سبحانه وتعالى، لكن من الشرك الرياء، الرياء من أخطر أمراض القلوب والأوبئة الأخلاقية الضارة التي تحتاج إلى يقظة دائمة وعلاج مستمر، فالرياء مُفسدٌ للأعمال، مُحبطٌ للأجر والثواب، مُتَوَعِّدٌ صاحبه بالإثم والعقوبة، وأعظم طريق للأُنس بالله تعالى هو تجريد التوحيد لله؛ بحيثُ يعمل الله ولا يَرْجُو العبدُ إلا الله، ولا يَخَافُ إلا الله، ولا يَتَوَكَّلُ إلا الله، ولا يَدْعُو غيرَه، ولا يَدُلُ إلا له، ولا يَطمئنُ إلا به، ولا يَسْكُنُ إلا إليه،

المرض الثاني: الكبر: وهو ردُّ الحقِّ، واحتقارُ النَّاسِ! والكبر هو ذنبٌ إبليس الرَّجِيمِ، قال تعالى: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [ص] [التكبر أي الأفاضل شرٌّ من الشرك؛ فإنَّ المُتَكَبِّرَ يَتَكَبَّرُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أما المُشْرِكُ يُعْبَدُ اللَّهَ وَغَيْرَهُ؛ وَلَئِنَّا جَعَلْنَا اللَّهُ النَّارَ دَارَ الْمُتَكَبِّرِينَ: ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فينسى مَنُؤَى الْمُتَكَبِّرِينَ [عافٍ] وفي الحديث: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبَهُ حَسَنًا وَتَعْلَهُ حَسَنَةً؟، قال: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الكبر بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ [صحيح مسلم]

المرض الثالث: مرض الشهوات والشهوات: قال الطبري رحمه الله: القلب يعرض له مرضان يُخرِجانه عن صحته واعتداله: مرض الشهوات الباطلة، ومرض الشهوات المُرديّة؛ فالكُفْرُ وَالنِّقَاقُ وَالشُّكُوكُ وَالْبِدْعُ، كُلُّهَا مِنْ مَرَضِ الشُّهَاتِ، وَالزُّنَا، وَمَحَبَّةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي وَفِعْلُهَا، مِنْ مَرَضِ الشُّهَاتِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ [الأحزاب]؛ وهي مرض شهوة الزنا، والمُعافى من عوفي من هذين المرضين، فَحَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ، وَالصَّبْرُ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؛ فَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ، أي تنعم وتبخر وعاش مترفاً،

المرض الرابع: الحسد: وهو أن يُبغِضَ المُسْلِمُ أَخَاهُ المُسْلِمَ؛ بِسَبَبِ شَخْنَاءٍ، وَعَدَاوَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ بَيْنَهُمَا! وَصَاحِبُ الْحَقْدِ وَالْغِلِّ فِي عَدَابٍ دَائِمٍ، لَا يَدُوقُ مَعَهُ طَعْمَ السَّعَادَةِ وَالْإِيمَانِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ زَوَالًا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ؛ لِمَا يُسَبِّبُهُ مِنَ التَّكْدِ، وَالنَّعَمِ، وَالْفَلَقِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْعَدَابِ، وَيُوسِّفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَاهُ إِخْوَتَهُ فِي الْحَبِّ، بَعْدَ أَنْ تَأَمَّرُوا عَلَى قَتْلِهِ، وَقَرَفُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَأَهْلِهِ، فَرَابَتْهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ذَاقَ خِلَالَهَا مَرَارَةَ الْعُبُودِيَّةِ وَالسَّجْنِ وَالظُّلْمِ، فَلَمَّا رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَأْنِهِ، وَأَصْبَحَ عَزِيرَ مِصْرَ، وَالتَّقَى بِإِخْوَتِهِ، وَقَالُوا لَهُ: تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَحَاطِطِينَ، رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعِزُّ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [يوسف] اتأمل وتدبّر أخلاق الكبار؛ لم يذكروهم بالماضي، ولم يعاتبهم؛ بل سامحهم، ودعا لهم،

أخي المسلم: في كلِّ يومٍ جِدِّ عَفْوِكَ عَنْ كُلِّ مَنْ ظَلَمَكَ، أَوْ أَحَدَ مَالِكَ، أَوْ اغْتَابَكَ، أَوْ آذَكَ، لتأخذ الثواب من ربك، لِمَاذَا يَشْغَلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِالْعِتَابِ وَالْحَقْدِ وَالزُّدُودِ وَالشُّكَاوَى؟ وَلِمَاذَا يَشْغَلُ قَلْبَهُ وَخَاطِرَهُ بِمَا يَصْرُهُ وَيَكْدِرُهُ؟ وَالْعَاقِلُ مَشْغُولٌ بِرِزْقِ الْحَسَنَاتِ؛ لِيُحْصِدَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا انشَغَلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ تَسَدَّبَ فِي تَقْلِيلِ رِزْقِهِ أَوْ إِفْسَادِهِ، وَلَا بَأْسَ مِنْ بَذْلِ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ التَّطَامِيَّةِ فِي رَدِّ عُدْوَانِ الظَّالِمِ، بِدُونِ انْتِقَامٍ لِلنَّفْسِ؛ بِالشَّمِّ، وَالسَّبِّ، وَلَكِنْ إِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كَاطِمًا لِلْغَيْظِ، تَبْصِرُ مَا تَقُولُ وَتَسْمَعُ فَكُنْ بِهِ شَرَفًا، تَصْبِرُ سَاعَةً يَرْضَى بِهَا عَنْكَ الْإِلَهُ وَتُرْفَعُ

المرض الخامس: الحسد: وهو تمّي زوال نعمة عمّن يستحقها، ولربما كان مع ذلك سعي في إزالتها! الحسد فيه جُلٌّ وظلم؛ فإنه يُجَلُّ بما أُعْطِيَهُ غَيْرُهُ، وَظُلْمُهُ بِطَلَبِ زَوَالِ ذَلِكَ عَنْهُ، وهو من الأمراض الخطيرة التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءٌ الْأَمَمُ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَأَعْظَمُ مَا يَزِيلُ الْحَسَدَ: هُوَ الْإِيمَانُ التَّامُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَالتَّوْبَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ

حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِالْإِيمَانِ الْكَامِلِ: مَنْ كَانَ فِي مُعَامَلَتَيْهِ لِلنَّاسِ نَاصِحًا لَهُمْ، مُرِيدًا لَهُمْ مَا يُرِيدُهُ لِنَفْسِهِ، وَكَارِهًا لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، وَتَتَضَمَّنُ أَنْ يُفَصِّلَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِغَيْرِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ أَفْضَلَ مِنْهُ،

الْمَرَضُ السَّادِسُ: الشُّحُّ: وَهُوَ شِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي طَلَبِهِ، وَجَشَعُ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَمَنْعُ إِتْقَانِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَحُبُّهُ وَإِمْسَاكُهُ مَعَ الرِّغْبَةِ وَالْحِرْصِ عَمَّا فِي أَيْدِي الْغَيْرِ! وَالشُّحُّ مَرَضٌ كَامِنٌ فِي النَّفْسِ، فَمَنْ بَجَلَ فَقَدْ أَطَاعَ شُحَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ فَقَدْ عَصَى شُحَّهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُفْلِحُ؛ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الْحَشْرُ] وَضِدُّ الشُّحِّ: الْإِيثَارُ: وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ؛ وَهُوَ الْإِيثَارُ بِمَحَابِثِ النَّفْسِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَدَلُهَا لِلْغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ بَلْ مَعَ الصَّرُورَةِ وَالْخِصَاصَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الْحَشْرُ]

الْمَرَضُ السَّابِعُ: حُبُّ الرِّيَاسَةِ: هُوَ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ! وَهُوَ حُبُّ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَطَلَبُهَا، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا بِإِلَاءِ مَصْلَحَةِ دِينِيَّةٍ! قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حُبُّ الرِّيَاسَةِ أَجْبُّ إِلَى الرَّجُلِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِلْمَرْأَةِ.

خطبة الجمعة ليوم 06 دجنبر 2024 م